

تفسير السعدي

@ 399 @ ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) ^ أي : ^ (وقال) ^ يوسف عليه السلام : ^
(للذي ظن أنه ناج منهما) ^ ، وهو : الذي رأى أنه يعصر خمرا : ^ (اذكرني عند ربك) ^
أي : اذكر له شأني وقصتي ، لعله يرق لي ، فيخرجني مما أنا فيه ، ^ (فأنساه الشيطان
ذكر ربه) ^ أي : فأنسى الشيطان ذلك الناجي ، ذكر الله تعالى ، وذكر ما يقرب إليه ، ومن
جملة ذلك نسيانه ، ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان ، وذلك ليتم الله أمره
وقضاه . ^ (فلبث في السجن بضع سنين) ^ والبضع : من الثلاث إلى التسع ، ولهذا قيل :
إنه لبث سبع سنين ، ولما أراد الله أن يتم أمره ، ويأذن بإخراج يوسف من السجن ، قدر لذلك
سببا لإخراج يوسف وارتفاع شأنه ، وإعلاء قدره ، وهو رؤيا الملك . ^ (وقال الملك إني أرى
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات يأبها الملاء أفتوني في
رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال
الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلني أرجع إلى الناس لعلهم
يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم
يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك
عام فيه يغال الناس وفيه يعصرون) ^ لما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن ، أرى
الله الملك هذه الرؤيا العجيبة ، التي تأويلها ، يتناول جميع الأمة ، ليكون تأويلها على
يد يوسف ، فيظهر من فضله ، ويبين من علمه ، ما يكون له رفعة في الدارين . ومن التقادير
المناسبة ، أن الملك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها ، لارتباط مصالحها به .
وذلك أنه رأى رؤيا هالته ، فجمع علماء قومه ، وذوي الرأي منهم وقال : ^ (إني أرى سبع
بقرات سمان يأكلهن سبع) ^ أي : سبع من البقرات ^ (عجاف) ^ ، وهذا من العجب ، أن
السبع العجاف الهزيلات ، اللاتي سقطت قوتهن ، يأكلن السبع السمان ، التي كن نهاية في
القوة . ^ (و) ! 2 2 ! (سبع سنبلات خضر وآخر) ^ أي : وسبع سنبلات آخر ^ (يابسات)
! 2 ! (يا أيها الملاء أفتوني في رؤياي) ^ لأن تعبير الجميع واحد ، وتأويلهن شيء
واحد ، ^ (إن كنتم للرؤيا تعبرون) ^ فتحيروا ، ولمي عرفوا لها وجهها . ^ (قالوا :
أضغاث أحلام) ^ أي : أحلام لا حاصل لها ، ولا لها تأويل . وهذا جزم منهم ، بما لا يعلمون ،
وتعذر منهم ، بما ليس بعذر ، ثم قالوا : ^ (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) ^ أي : لا
نعبر إلا الرؤيا ، وأما الأحلام ، التي هي من الشيطان ، أو من حديث النفس ، فإننا لا نعبرها

. فجمعوا بين الجهل والجزم ، بأنها أضغاث أحلام ، والإعجاب بالنفس ، بحيث إنهم لم يقولوا : لا نعلم تأويلها ، وهذا من الأمور ، التي لا تنبغي لأهل الدين والحج . وهذا أيضا ، من لطف الله ، بيوسف عليه السلام . فإنه لو عبرها ابتداء قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم ، فيعجزوا عنها لم يكن لها ذلك الموقع ، ولكن لما عرضها عليهم ، فعجزوا عن الجواب ، وكان الملك مهتما لها ، غاية الاهتمام ، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعا عظيما . وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة ، بالعلم ، بعد أن سألهم ، فلم يعلموا . ثم سأل آدم ، فعلمهم أسماء كل شيء ، فحصل بذلك ، زيادة فضله . وكما يظهر فضل أفضل خلقه ، محمد صلى الله عليه وسلم في القيامة ، أن يلهم الله الخلق ، أن يتشفعوا بآدم ، ثم بنوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهم السلام ، فيعتذرون عنها . ثم يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول : (أنا لها أنا لها) ، فيشفع في جميع الخلق ، وينال ذلك المقام المحمود ، الذي يغطيه به الأولون والآخرون . فسبحان من خفيت ألطافه ، ودقت في إيصاله البر والإحسان ، إلى خواص أصفائه ، وأوليائه . ^ (وقال الذي نجا منهما) أي : من الفتيتين ، وهو : الذي رأى أنه يعصر خمرا ، وهو الذي أوصاه يوسف ، أن يذكره عند ربه ^ (وادكر بعد أمة) أي : وتذكر يوسف ، وما جرى له في تعبيره لرؤياهما ، وما وصاه به ، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة ، من السنين فقال : ^ (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) ^ إلى يوسف لأسأله عنها . فأرسلوه ، فجاء إليه ، ولم يعنفه يوسف على نسيانه ، بل استمع ما يسأله عنه ، وأجابه عن ذلك فقال : ^ (يوسف أيها الصديق) أي : كثير الصدق في أقواله وأفعاله ، ^ (أفئنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلنا أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) ^ فإنهم متشوفون لتعبيرها ، وقد أهمتهم .